

الشخصيات الروائية في رواية (البلد الجميل) لأحمد سعادوي دراسة سيميائية

م . د . شيماء عادل جعفر

جامعة الفراهيدي / كلية التربية / قسم اللغة العربية

المخلص :

رواية (البلد الجميل) هي الرواية الحائزة على الجائزة الاولى للرواية العربية بدبي عام 2005 للروائي والشاعر وكاتب السيناريو احمد سعادوي يتدفق السرد في هذه الرواية بشاعرية حتى بدت وكأنها تجربة حقيقية لمسها الكاتب في حياته وهو وسط زوبعة الضياع الذي يعاني منه الوطن واغترابه الروحي و السيميائية منذ اكثر من نصف قرن شهدت توسعاً في جميع المجالات حتى طغت المؤلفات التي تبحث في العلاقات واصنافها على غيرها من الابحاث وذلك بسبب شمولية هذا العلم الذي بات من الممكن بوساطته التطرق لاي مجال من زاوية سيميائية فظهرت مجالات وابحاث في اللغة والبلاغة وعلم الجمال تعتمد على هذا العلم (السيمياء) .

المقدمة :

تحظى الشخصيات بوصفها مكونا اساسيا من مكونات الخطاب الرواي بمقاربات متباينة تباين الاتجاهات والتصورات التي تنطلق منها كل مدرسة نقدية ، وفي مجال السرد يشكل الصرح النظري الذي اقترحه السيميائيون بخصوص مقارنة الشخصية قطيعة لا جدال فيها مع جل النظريات النفسية والاجتماعية التي بلورتها مدارس صارت تنعت عندهم بالتقليدية⁽¹⁾ . ولمعرفة مظاهر هذه القطيعة لابد من معرفة من يعود لهم الفضل في تأسيس ما يسمى بالسيميائيات السردية وهم فلاديمير بوب ، الجرداس جاليان غريماس وفيليب هامون .

فالدراسة التي تقدم بها الباحث الروسي فلاديمير بروب والموسومة ب (مورفولوجيا الحكاية الخرافية) هي احدى الدراسات الجادة في مجال مقارنة مكون الشخصية ، اذ استثمر فيها مقولات الشكلايين الروس وعمل على دراسة الشخصية دراسة مورفولوجيا ركز فيها على وظائف الشخصية وخلص من خلال تحليله لمئة حكاية روسية الى ان الثابت في كل الحكايات هو وظائف الشخصيات وليس الشخصيات في حد ذاتها ، وقد احصى عدد الوظائف المستخلصة وحصرها في

ثلاثين وظيفة قابلة لان تقلص الى دوائر لا يتعدى عددها سبع دوائر وهي : دائرة الفعل المتعدي ، دائرة الفعل الواهب ، دائرة الفعل المساعد ، دائرة فعل الاميرة ، دائرة فعل الموكل ، دائرة فعل البطل ، ودائرة فعل البطل المزيف⁽²⁾ .

انطلق غريماس من حيث انتهى فلاديمير بروب ، اذ لم يكثرث بالمستوى السطحي للنص السردى بل تجاوزه الى المستوى العميق ، وحاول مقارنة الشخصية من خلال ما اسماه بالمسار التوليدي ، وهو مسار تحكمه بنيتان اساسيتان : بنية عميقة وبنية سطحية ، تتألف البنية العميقة من مستويين ينهض كل منهما على مكونين : دلالي وتركيبى وتتألف البنية الخطابية السطحية من مستوى واحد ينهض بدوره على مكونين : دلالي وتركيبى .

أما المستوى الأول من البنية العميقة، فهو مستوى مورفولوجي عميق يرصد البعد الدلالي والمنطقي للنص السردى، ويشمل قيما دلالية مجردة قابلة للتفجير، لكنها غير قابلة للإدراك في ذاتها لإنتاج دلالة ما، إلا إذا دخلت في شبكة من العلاقات تعطىها بعدا ماديا إظهاريا "لأن الحدود المجردة تملك بشكل ضمني القدرة على التحول من العلاقات إلى العمليات بفعل الطابع الموجه للعلاقات التي تربط بينها"⁽³⁾.

هذا التحول هو ما يشكل المستوى التركيبى داخل البنية العميقة حيث يتم نقل البنية من وضع مجرد إلى وضع آخر محسوس. إلا أن هذا القلب الذي يحدث في هذا المستوى، يقتضى بدوره طرح سلسلة من العلاقات يجمها غريماس في التناقض والتضاد والتقابل والاقتضاء؛ وهي علاقات قابلة لأن تجسد على حدود مربع سماه بالمربع السيميائي.

لكن هذه العلاقات/الثنائيات تبقى، هي الأخرى، غير قابلة لإنتاج كون دلالي ما في ذاتها إلا إذا دخلت في سلسلة من العلاقات تمنحها وجها إجرائيا. بعبارة أخرى، إن القلب الذي يحدث في هذا المكون التركيبى من المستوى الأول، هو الذي يجعل العلاقات التي تجمع بين الثنائيات تشتغل باعتبارها عمليات.

ولعل ما يهم من كل هذا، هو أن القلب الذي يحدث داخل المستوى التركيبى من البنية العميقة، يقتضى عملية قلب جديدة لا تتم إلا بدخول ذات الخطاب التي تقوم بتحريك القيم الكونية المجردة، وتصبها في التجربة الزمكانية لتأخذ طابعا مشخصا ومدركا عن طريق الانتقال من الحد الأول في المربع السيميائي إلى الحد الثاني عبر النفي والإثبات. وهذه عملية يسميها غريماس "التسريد"، ويعني بها الدور الأساس الذي تلعبه الذات/الشخصية في إضفاء طابع الدينامية على قيم النص .

أما عملية التحويل الثانية التي تتم في المكون التركيبى من المستوى الثاني في البنية العميقة الذي يرصد التحويل من النظام المنطقي إلى نظام التركيب، هي التي تسمح "بالحديث عن النموذج

العاملية باعتباره بؤرة تختصر وتكثف مجموعة الأدوار القابلة للتحقق انطلاقاً من كون دلالي مجرد⁽⁴⁾.

ويتشكل المكون الدلالي، في هذا المستوى الثاني من البنية العميقة، من عملية قلب تجري على الحدود المجردة، أي مجموعة من المعالم (السمات النووية) المشكلة للحد الدلالي المجرد التي تدخل في علاقات مع السمات السياقية لتعطينا ما يسمى الأثر المعنوي.

بقي الحديث عن البنية السطحية حيث تحدث غريماس عما سماه المستوى التركيبي الخطابي، ويقصد به ما نقرأه مكتوباً بعد أن يتم تزمين وتقضية القيم المجردة، وتوزيع الأدوار العاملة على الشخصيات.

ينطلق فيليب هامون هو الآخر من حيث انتهى غريماس، ويرى أن الشخصية، إضافة إلى كونها وليدة مستوى عميق، لا يمكن الإمساك بمدلولاتها وملء بطاقتها إلا من خلال وجود عناصر مهمة تسهم في بنائها، وهي القراءة و السنن الثقافي. إن الشخصية في نظر هامون تشبه العلامة اللسانية. "إنها علامة فارغة، أي بياض دلالي لا قيمة له إلا من خلال انتظامها داخل نسق محدد"⁽⁵⁾.

ولإدراك الأبعاد التي ترمز إليها الشخصية والمواصفات والقيم الكونية التي تجسدها لا بد من فعل القراءة. فإذا كان المؤلف يسعى من خلال شخصياته تسنين واقع معين داخل النص السردى، فإن دور القارئ يتمثل في فك ذلك السنن في أثناء استهلاكه للنص، وبين عملية التأويل التي يقوم بها القارئ لإدراك مدلولات الشخصيات، وعملية الخلق التي يقوم بها المؤلف "تنتصب الشخصية كإسقاط لصورة سلوكية مسننة داخل نوع ثقافي خاص"⁽⁶⁾.

فالشخصية تكتب وفقاً لطبائعها وصفاتها ونفسياتها وخصائصها التي تؤهلها للقيام بدورها في السرد وتتحول إلى ذات سردية تعبر عن ذاتها في إطار يحيله السياق النصي كما تعبر عن المجتمع، وذلك من خلال حوارها مع الشخصيات الأخرى، فبناء الشخصيات ووجودها في السرد مرتبطان بكيفية ظهورها في النص.

فالسيميائية تسعى - في أسنادها في القواعد اللسانية - إلى (بناء الدلالة داخل النص ومن مستويات محددة تحكماً بمجموعة من العلاقات والعمليات، ندركها بكل وضوح في الصعيد العميق)⁽⁷⁾ يدعونا ذلك إلى الانطلاق في دراسة الشخصية، باعتبارها المحرك الأساس للأحداث، من خلال العلاقة التي تربطها بالواقع وكيفية تأثير كل منهما في الآخر وما ينجم عنها من تحول يستمر مع استمرار التفاعل بينهما فهي «العمود الفقري في الرواية والشريان الذي ينبض به قلبها؛ لأن الشخصية تصطنع اللغة وتثبت الحوار وتلامس الخلجات، وتقوم بالأحداث ونموها وتصرف ما نشاهد»⁽⁸⁾.

وتعزى الدراسة الشخصية الرواية التي يعتمد عليها البحث الى هامون فيليب هامون الذي تركز مقترحاته كثيراً على المفهوم اللساني ، ولعل ذلك شيئاً طبيعياً عند النقاد الذين نهلوا من روافد اللسانيات الحديثة .

و يعد حسن بحرأوي أن أغنى التيبولوجيات الشكلية تعود إليه في دراسته المتميزة حول القانون السيميولوجي للشخصية. و قد حاول هامون أن يفيد من دراسات سابقه، وعد مفهوم الشخصية مرتبطاً أساساً بالوظيفة النحوية التي تقوم بها داخل النص⁽⁹⁾ وصنف الشخصيات إلى ثلاث فئات هي: الشخصيات الإشارية، والشخصيات الاستذكارية، والشخصيات المرجعية، التي تضم الشخصيات التاريخية، والأسطورية، و المجازية، والاجتماعية⁽¹⁰⁾ .

والكتابة العراقية بكل ثيماتها هامش فجائعي مفتوح على المحنة وان اختلفت اجناسها الادبية، غير ان الرواية شرحت الجزء الاكبر من القضية وعبرت عن محمولاتها بفضل مجموعة من الروايين المشتغلين على النص بوصفه معبراً نوعياً في خطاب الاخر ، ومن بين هؤلاء يستوقفنا (احمد سعداوي) من خلال روايته (البلد الجميل) التي شكلت مفصلاً مهماً في تجربته الرواية المملوءة بالتحويلات والانفتاحات كحالة ابداعية متميزة وسنبدأ بدراسة محاور الشخصية ضمن محاور كبرى هي الاسماء وملامح شخصيات الرواية وتواترهم ومراتبهم السردية .

الاسماء :

تشغل الشخصية في الرواية حضوراً قوياً يتحدد بناؤها في النص من خلال ما يعتمد عليه المبدع من اوصاف خارجية وثقافية وتتحدد ملاحظتها من خلال ما يخبر عن الراوي من جهة ، وما تخبر به الشخصية عن كثير من الاحيان ، وتظهر الشخصية في الرواية على وفق اسماء يتفاوت مدلولاتها من شخصية الى اخرى ، وهي تسميات دالة لانها ترتبط بمستوى عال من الترميز بفتح باب القراءة والتأويل على نحو يؤدي فيه معنى خاصاً وتمثل فيه البعد الدلالي .

فالتسمية في التراث العربي سمات ودلالات تحدث عنها قديماً الجاحظ في اكثر من موضع ، ولذلك استدعى الاهتمام باسماء الشخصيات التي لا شك انها اختيرت عن قصد بحيث تشير الى دلالة معينة يوحي بها الاسم بعد ان تتضح صورته في ذهن المتلقي . ورواية البلد الجميل من الروايات التي تحتفي بالاسماء وقد اختار الراوي لشخصياته اسماء تمثل دلالات بعينها لتمييزها عن غيرها ويمثل الاسم الشخصي او الصفة علامة سيميائية بامتياز كما ان الصفات والسلوكيات التي يخلقها بشخصياته كلها تمر عبر التسمية التي بها تحدث شبكة المعلومات التي تكون حبكة الرواية .

يتفق الراوي في تضمين الاسماء في روايته طاقة ايجابية ورمزية بارزة ومن ثم يصبح اختيار الاسماء الخطوة الاولى في الترميز .

والاسماء الشخصية في الرواية قد اختيرت بدقة لأنها تشير الى دلالة بعينها من أول وهلة ، فالأسماء تشتق من اقرب الجذور اليها ، فنجدها منتقاة من قطاعات المجتمع المختلفة ومن نماذجه المتعددة وقد انتج ذلك تنوعاً في القضايا التي تناولها (احمد سعداوي) والمزاجات التي تحكمت في حركة المجتمع ، فالرواية هي ليست قصة حب حدثت بين شاب وهو (حلمي) وفتاة تدعى (ندى) او (نادية) او (نود) بقدر ما هي قصة انسان مستلب زمن الجوع والحصارات وفي بلد اختار له الرواي صفة الجمال .

ان المتتبع لمسار الرواية يجزم بان اختيار اسماء الشخصيات يخضع لميكانيزم خاص جعل منه الراوي اجزاءً فنيا معمولاً ومنتقداً كخاصية فاعلة في بناء روايته ، سواء أكانت هذه الشخصيات انثوية ام ذكورية ، فلكل شخصية خصوصياتها وتميزها بما يكون في صالح التفاعل الاحداثي للمنجز السردى ، فهو ممن ينجز مخططات او تصورات تهيئة لشخصياته ، وهي ليست بالضرورة شخصيات واقعية معاينة وانما تمثل تخيلاً سوسيوولوجياً قد ينطبق على الواقع او يعبر عنه (فالناس والزمان والمكان في الرواية ليسوا نسخة عما في الواقع الموضوعي ، ثمة درجة ما من الانزياح في الرواية بحكم طبيعتها كمتخيل ، كفن ، كآلية)⁽¹¹⁾. وهو الملمح الذي نخرج منه من خلال هذه الرواية .

واولى الملاحظات على اسماء هذه الرواية انها اسماء فردية ، وجاء عنوان الرواية مسوغاً من الناحية الروحية والنفسية الذي يعتقد انه لا بديل عن الوطن حتى وان كان ذا قسوة وجفاء وقد اختار الراوي في روايته (المأزق) مهملاً المعنيين الاخرين (نقطة اللقاء) و (نقطة تقاطع مدارين) ونجده قد وظف المعنى الاول (المأزق) اكثر من سواه واهمل المعنى الثاني (نقطة اللقاء) او جعله هامشياً من خلال علاقة بطل الرواية (حلمي) ولقائه ب (ندى) فشخصية :-

حلمي هو المنسوب الى الحلم ، وهو الصبر والاناة مع القدرة والقوة والعقل اذ ان شخصية حلمي في الرواية مقتصرة على الاحلام حتى انه كاد من شبه المستحيل في ذات شخصية حلمي صدق الحدس من علاقته ب (ندى) والتقاءه بها وكذلك علاقته بالصديقة الفرنسية ولقائه الازلي بأبنة عمه (نادية) على اساس انهما تربيا معا ومخطوبان منذ الصغر ، فكل هذه الامور لا تعدو عن كونها محطات سيغادها البطل الذي يعاني من عدم الاستقرار . فهي شخصية مركبة بالغة التعقيد ، فهو ذو طبع هادئ خجول لا يكاد يخرج الكلمات الا بعد عسر تستوقفه مشاهد يصورها ، ويقف عندها بامعان مريب حاول الراوي ان يرصد لنا مراحل طفولته وحياته والملمح الاول لشخصية (حلمي) لا يوحي بأنه رجل يقف في وجه الصعاب لانه مدلل والديه واعتبر في مرحلة ما معوقاً او حالة خاصة ضاعفت قلق الوالد وشكلت لديه هاجسا يكبر يوماً بعد يوم / فالراوي يحاول ان يبين من خلال السمات الداخلية والخارجية التركيبية لشخصية (حلمي) هو ان الضغط بشتى

انواعه يولد الاعتزال عن العالم المعيش فيه ، لقد كانت (ندى) حدثا اوليا في بروز ملامح التغيير في الشخصية المركزية للرواية الذي اصبح عاشقا صار يبحث عن عمل بدل من جلوسه طول اليوم في البيت ، فالراوي يرصد لنا شخصية حلمي بشكل دقيق فهي صاحبة المقام الاول في الحضور السردى بالقياس الى الشخصيات الاخرى .

عيدان حسن عيدان مثنى عيد ، وعيدا الاضحى الفطر وجمع عود : الخشب الغصن المقطوع ، نوع من الطيب والة الطرب المعروفة ، والحسن : هو الوسيم والجميل نقيض القبح والقبيح ، الجبل الشاهق ، وصنف من الاشجار الجميلة ، فكأن الراوي يضع اسم هذه الشخصية بغية وسم افعالها بكل ما هو جميل وخير وممدوح انطلاقا لما يحمله هذا الاسم من معاني ومدلولات جميلة ، نجده في الرواية من اقرب الاصدقاء للشخصية المركزية حلمي لان حلمي كان يعبر له عما يختلج في داخله من اشياء فيتداخل الواقع مع الخيال في السرد المكثف والغني بالتفاصيل فهو الصديق الودود والاقرب للشخصية المركزية الذي كان يقضي معظم وقته مع صديق عمره فيذكر الحوار الذي كان يدور بينهما والمكان الذي كانا يجلسان فيه فيذكر ذلك بين الحين والآخر فشخصية عيدان حققت سيميائيا الجانب الانساني من خلال مساعدته لحلمي في كثير من المشاكل التي كان يعاني منها حلمي .هاتان الشخصيتان كل اسم منهما يحمل دلالات حول ايجاد المعامل الموضوعي بين الاسم وموضوع الصراع الاجتماعي بل الوجودي في هذا الوطن وهذا المعادل يتحلى في القدرة على تحمل المسؤولية الملقاة على عاتقه بمواجهة ظروف الحياة بكل مشاكلها فاختيرت لفظة حلمي وعيدان المناسبتين لشخصيتين مهمتين في الرواية وهما لفظتان دالتان على الحلم وتحقيقه في مواجهة صعاب الحياة .

مسافر هو الصديق الجريح الذي ينام في سرير مجاور لسرير حلمي في احدى المستشفيات عندما كان مصابا في قدمه الا ان اصابة حلمي كانت اخطر ، ويبين مسافر سبب تسميته بهذا الاسم فيقول : (ان ابي كثير السفر لانه كان يعمل خبيرا في النفط وفي احدى اسفاره ولدت ، فسمتني امي مسافر)⁽¹²⁾ اما اسمه في الرواية فكان حلمي يتكلم معه عن حياته عندما كانا يرقدان معا في الغرفة نفسها في المستشفى عن حياته ولم يظهر الا عندما راه في المرآب مصادفة من غير موعد سابق بينهما فلم يكن له وجود ثابت في الرواية وانما كان ظهوره بين الحين والآخر في الرواية فالاسم له علاقة بظهور مسافر في الرواية وكأنه يسافر بين الحين والآخر حتى تظهر شخصيته ، فالراوي يحاول وضع اسماء منسجمة ومناسبة لشخصياته بحيث تحقق للنص مقروئته وللشخصية احتمالية وجودها ، اذ ان الاسم اشارة سيميائية دالة على جوهر الشخصية بحيث تسهم في تعميق وجودها الفني .

كشاش وهو ما يجمع بعد كنس الغرف وباحات البيت من تراب وفضلات وقشور ، ثم يرمى بها ، يسمى في لغة اهل الجنوب ب (كشاش) وهو اسم جد حلمي اذ كانت العرب تسمى عبيدها باسما غير جميلة وقبيحة فالهنود الحمر عندما يولد لهم مولود ينظرون حولهم ويستلمون اي اشارة طبيعية او حادثة مصاحبة ليشتقوا منها اسم مولودهم الجديد فهم بذلك يتقاسمون مع نظراتهم للحياة ، فالخوف من الحسد والعين وفقدان الابناء وسند المستقبل يدفع العائلة التي يرزقها الله بالمولود الذكر الى ان تتلف حولها وتلتفظ اي شيء لتسمي بها ابنها ، انها الالية نفسها عند الهنود الحمر واقوام عريقة اخرى ولكن الهدف يختلف فهناك اسماء مثل (جليب جريدي ، زباله) اما اذا كان المولود جميلا ، فيغطي رأس المولود وعندما يسأل عن جنس المولود تجيب الام او الجدة بأنه انثى انتقاء لشر الاخبار عنه الاول عنه ، فالشر مرافق دائم للسؤال الاول ، ثم يطلق عليه اهله اسما منفرا منه وهذا ما حصل لجد حلمي كشاش⁽¹³⁾ .

سيمياء البناء الخارجي للشخصيات :

يقصد بالبناء الخارجي للشخصية الملامح الخارجية لهذه الشخصية شكل الوجه ، حجمه ، شكل العينين ولونهما ، شكل الاذن ، العنق ، طول الشخص ، طبيعة تحركه الخ وهنا ليس المقصود مجرد وصف لهذه الملامح انما ما يمكن ان نستنبطه من دلالات ومن هذه الملامح وما يمكن ان تشير اليه هذه الملامح من معانٍ ضمنية يريد الروائي ان يوصلنا اليها . فضلا عن الصفات النفسية والعقلية والفكرية والاجتماعية والخلقية والعقائدية التي تتمتع بها الشخصية في النص مثل الانطواء ، العصبية ، الغيرة ، الذكاء ، سعة الافق ، البلاهة السخاء الخ .

ان التعرف على هذه الملامح تساعد على التعرف ما يرمي اليه الروائي من ذكر مثل هذه الملامح وخاصة التركيز على واحدة او اكثر منها في النص وبالتالي يساعدنا في الدراسة السيميائية للنص بصورة افضل ، حيث تتجلى ملامح الواقع لأي زمن أو عصر في الكتابة الادبية من خلال ما يقوم عليه النص الادبي من انظمة سردية تظهر بوصفها علامات ورموز تسهم في الكشف عن الانساق الثقافية والسياسية والاجتماعية التي تسبق عملية انتاج النص الادبي اذ هي مجموعة من الصفات والسمات الخارجية والجسمانية التي تتصف بها الشخصية سواء كانت هذه الاوصاف بطريقة مباشرة من طرف الروائي او احدى الشخصيات او من طرف الشخصية ذاتها عندما تصف نفسها او بطريقة غير مباشرة ضمنية مستنبطة من سلوكها او تصرفاتها ، ان هذا البناء المورفولوجي (الخارجي) يتعلق اساسا بالرواية القديمة وخاصة الواقعية اذ (تعامل الشخصية على اساس انها كائن حي له وجود فيزيقي فتوصف ملامحها وقامتها وصوتها وملابسها .. ويبدو ان العناية الفائقة برسم الشخصية او بنائها في العمل الروائي كان له ارتباط بهيمنة النزعة التاريخية والاجتماعية وهيمنة الايدلوجيا من جهة اخرى)⁽¹⁵⁾ ومن ذلك شخصية :

حلمي يعطي الراوي صورة عن بشرة حلمي وشعره فيقول: (ينظرون اليه ببشرته الموردة وشعره الذهبي فيطمئنون بانه اكثر صحة ...) (16) اذ كان حلمي يشبه جده كشاش تماما فيصف الراوي لحظة مجيء حلمي الى الدنيا (فقد انجب سالم (ابنه الثاني) ولده البكر وسماه باسم غريب على مسامع العائلة (حلمي) وكأنه ينطق بلسان حال الجدة ... وتلمس بيقين ثابت انه سيسببه يشبه كشاش انه هو ... كأنها تتسم للان انفاسه وتلمس وجهه ويديه ، ومنابت الشعر على وجنتيه ورموشه الشقراء الكثيفة) (17) اما عن ساقى حلمي فيقول (يرفع حلمي دشاشته قليلا ليروي نادية ركبته التي اجريت لها عملية ، تشعر نادية ببعض الحرج حين ترى ساقى ابن عمها البيضاوين بوبرها الخفيف) (18) فكل ما يتصف به حلمي من ملامح عكست على شخصيته سيميائيا موقفا فكريا متعدد القضايا والنماذج ، فالراوي يعمد الى عمليته الاخبارية الى طريقة تاخذ حيزا طباعيا كبيرا ضمن متن الرواية ، وذلك في محاولة للتغلغل الى توضيح معالم المعالم الخارجية للشخصية

عيدان حسن يظهر في الرواية بأنه شخص شديد الاسمرار اذ كان دائما يقارن نفسه مع

صديقه حلمي حيث

(كان عيدان يرفع يديه الكالحتين ، مقلبا اياهما امام عينيه ويقول لحلمي : انه تأخر في الفرن كثيرا حتى (تشعوط) ومزج الدخان وملأ ارجاء البيت قبل ان ينتبه الاهل ويجلبوا الدايه للام ، اما انت فما زلت الى الآن عجينا ، يقول ذلك لحلمي بخبث او ربما بحسد ويلحقها ضحكة واعرة) (19) عيدان ذو البشرة السوداء يقول لصديقه حلمي (ماذا لو .. يا صديقي العزيز.. اقول لو امتزجنا معا انا وانت لاصبح كل واحد منا جميلا ، ضحك حلمي ببراءة الان الفكرة راقت له واجابه سنصبح حنطاويين) (20) لان حلمي كان منزعا من جمال وجهه وبياض بشرته فلا يحس انه فيه نوع من الرجولة مقارنة مع صديقه عيدان فشخصية عيدان حققت سيميائيا الجانب مرونة على مواكبة احداث الرواية من خلال لقاءه الدائم مع صديقه حلمي.

نادية حاول الراوي التغلغل الى اعماق الشخصية بالتوغل داخل افكارها لنقل شعورها وما يجوب بخاطرها من احساسات تستشعر بها كينونتها اذ لم تبرز اي ملامح لشخصيتها غير انها كانت تشبه مديحة كامل على حسب ما كانوا يقولونه لها فقد كانت (تنزع الاقراط من اذنيها قبل ان تنام وتنظر الى المرأة ، كانوا يقولون لها "انت تشبهين مديحة كامل" فحرصت على ان ترى مديحة كامل هذه ، فكشفت فيما بعد ان هذه مديحة كانت تبكي كثيرا ويخونها الممثلون وتسرح شعرها بطريق مثيرة (21) فالقارئ يتعرف على ملامح نادية من خلال ما وصفوها بها فكشلت شخصية نادية سيميائيا كونها تقع تحت تأثير الضجر واليأس من الفعل والتغيير وعيشها اللحم لا

الواقع في الحب وعجزت عن تحويل ما تحلم به وتتمناه الى حقيقة واقعية وان جل ما كانت تتمناه هو الارتباط بابن عمها حلمي .

نود وهي الفتاة التي احبها حلمي للقارئ شيئاً عن ملامحها فيقول اذ يحاول ان يعطي (تنزيلين من الحافلة بشفتين مضمومتين وظهر حذبة ارهاق يوم العمل الطويل) (22) فحاول الراوي ان يعطي الصفات النفسية والجسمية للشخصية حيث كانت شخصية نود تتأثر بمن حولها وتؤثر فيهم ومثلت موقفاً فكرياً من خلال معالجة قضايا متعددة فالراوي هنا لا يعلم المشاعر الحقيقية لدى نود لكنه يقدم تأويلات عامة ترتبط اساساً بالقسمات الخارجية العاكسة للاعماق والتي تزداد وضوحاً من خلال النص الذي يعمق هذه الفكرة ، فالتعب والارهاق والانهايار التي تعاني منها الشخصية لم تعبر عنها صراحة ، انما هي مجرد تخمينات يحاول حلمي استشعارها انطلاقاً من ملامحها الخارجية التي تعكس تعبها بوضوح.

سالم (والد حلمي) يقول عنه الراوي (ذبح الاب المتكرش ذو الصلعة المملوحة في بادرة لا تشهد العائلة مثلها كثيراً) (23) يستدرج الراوي بعض الشخصيات الى افكار بعينها للسخرية والاستهزاء منها ، ومن ثم اعطاء حكم نهائي حولها ، بما قد يؤثر على ادراك القارئ ورسم صورة في ذهنه عن الشخصية فالراوي يحاول ان يقدم الشخصية ويبين ابرز ما تتميز به وهو الكرش والصلع .

الجددة قسمة تمتاز ببشرة باهته كالرخام يبين لنا الراوي ملامح الجددة عندما دخل عليها حلمي الى الغرفة (ينظر حلمي الى وجه جدته ملياً ، ويرى كيف تهدل عينيها الموشومان بخطين ازرقين ثخينين) (24) وقد وصفها ام زوجها كشاش بأنها صلبة العود ممشوقة القوام ، جسد مستقيم لا انحناء فيه السبب الذي جعل كشاش يتقدم لخطبتها فقد امتازت شخصيتها بالصراخ والتمرد والمرونة في مواكبة الاحداث ، فقد جاءت شخصية الجددة عنيدة متمردة وقد اعتبرها الراوي من الشخصيات الثانوية في الرواية ، وربما قصد بها شيئاً عميقاً ذا دلالات بعيدة وهذا ما رمز اليها من خلال مواقف معينة .

كشاش تتميز ملامحه بأنه هزيل ، نحيل ، وامض مثل بيضة مقشرة فقد كان (يرفع يديه المعروفتين كجريدتي نخل) (25) حيث كانت له سمة انثوية (كان جميلاً وذا مسحة انثوية ، لذا لم يسلم من تحرشات اصدقائه الجنسية ، وان كانت بدافع العبث والمزاح) (26) على الرغم مما كام عليه من بنية جسمية الا انه كان يغتم الفرص من اجل لقمة العيش الرغيد بعيداً عن الذل والمسكنة من الناس اذ (اشتغل كشاش في بداية مقامه حمالاً ، ثم في اعمال تنظيف وحفر وعلى الرغم من رهافة عوده ورقة بدنه ن تحمل راضياً هذه القسمة) (27) فشكلت الشخصية سيميائياً بالقدرة على التأقلم والتكيف مع الواقع الذي لا بد منه ، وتحويل ما يحلم به ويتمناه الى حقيقة واقعية

فهو شخصية تمثل رمز للتناقضات الداخلية للسلوك الانساني وما تحمله من تشوهات عميقة وهذا لتأكيد الانشطار النفسي والتمزق الذي تعيشه الذات المحيطة في مواجهة مصيرها وخياراتها .

محمد هو ابن عم حلمي الذي يكبره اربع سنوات كان اسمر البشرة بوجه مدهون ، كثير الشعر ، كما كان رجلا حقيقيا من ناحية الهيئة وبنية الجسم كان محمد (كلما رأى حلمي من امام شباك بيتهم يصيح عليه ها .. المايح ؟ ثم يخفي نفسه ، لقد كان مايعا حقا بينما محمد يابسا مثل ليل الصيف انه قدر بئس) (28) فهناك فرق بالملاح بين محمد وحلمي الذي كان رقيقا فملاح شخصيات الرواية كان لها اثرها في الرواية ولاشك ان الراوي يجهد نفسه لايجاد طريقة معينة في التعامل مع المادة التي يستسقيها من الحياة ليؤسس عالمه الروائي على قاعدة مرجعية ، وان كانت في عمومها لا تحيل الى وقائع حقيقية ، وان كنا نلمس خيطا رفيعا بينها وبين القصة المتخيلة التي يمتزج فيها التخيل بالواقع امتزاجا جميلا .

رسول الكاتب يعطي الراوي ملامح رسول الكاتب بأنه (رجل اشيب نحيف له لحية منتوفة ، وشعر مسترسل ، وظهر مستقيم ، يرتدي بدلة مائلة اللون لكنها نظيفة) (29) من خلال ما قام به رسول الكاتب من ادوار في الرواية والملاح والسمات التي ظهرت عليه فانه حقق سيميائيا مرونة في مواكبة الاحداث من خلال الادلاء برأيه عما كان يكتبه حلمي من شعر اذ يمتلك مستوى عال من تنوع الكلام والحكي والفكر اليقظ من خلال طرح مشكلة الواقع .

هذه الشخصيات تعبر عن مستويات اجتماعية وفكرية متباينة ، تحاول كل منها الافصاح عنها من خلال محاوراتها التي كان الراوي المسيطر الاوحد ، لانه لا ينطق بشخصياته الروائية الا بما يبرز مستويات تفكيرها التي يسعى الى تعريتها امامنا ، في محاولة للتأثير على ادراك القارئ بالتركيز على الجوانب السلبية والايجابية فيها ويصف فيها الراوي الشخصيات بصفاتها شخصيات مهنية على العمل الروائي ، وقد رأينا في رسم شخصيات الرواية ان الراوي كان ولوعا بالملاح الخارجية للدلالة على تغييرها بفعل الزمن وكان الامر يتصل بالواقع وان لا صفة ثابتة وان لا شخصية تبقى على حالها وان معظم هذه الاوصاف هي من قبيل الادراك الحسي .

فقد حظيت الشخصية باهتمام الدراسات النقدية الحديثة ولاسيما تلك الدراسات التي اهتمت بتحليل الاعمال السردية الحديثة باعتبار الشخصية مكونا سرديا فاعلا ومتفاعلا ضمن حيز الخطاب السردية لما تضيفه على النص من نبضيه وحركية وتعددت روايات البلد الجميل واخذت ابعاد مختلفة .

تواتر الشخصيات ومراتبها السردية في النص :-

من الصعب على اي باحث في اي نص قصصي فيه ما يقرب من ثلاثين شخصية ان يتبع مراتبها السردية وان يعرف بدقة تواتر هذه الشخصيات في النص وعيه لا يستطيع تحديد مراتبها

مالم يحتكم الى الاحصاء ، فالإجراءات الاحصائية تلعب دورا مهما في تحديد كمية المعلومات الموظفة في المساحة الرواية ، والاجراء الكمي له اهميته في توجيه الاحداث وتكييف دلالتها .

وقد ابعدنا من الاحصاء ما يلي:-

- الضمائر العائدة على الشخصيات وحتى الضمائر المعينة صراحة مثل (انا ، انت ، هو) لأنه اذا قمنا بإحصائها فان السهو والخطأ يزداد .
- الصفة اذا اقترنت بموصوفها .
- البديل لأنه والمبدل منه شيء واحد .
- اما ما عدناه في الاحصاء هو : الاسم الصريح وما يعادله الرجل ، المرأة ، الفتاة ، العجوز .

والحق اننا لا نستطيع بالإحصاء وحده ان نعرف ذلك الا اننا بالإحصاء يمكن ان نؤكد ملاحظتنا عن هذه الشخصية كما يساعدنا الاحصاء على ترتيب الشخصيات داخل العمل السردى ، والملاحظة في تحديد الشخصيات الرئيسية عمل منهجي الا انها تظل قاصدة لا تملك البرهان لإثبات صحتها ، بطل الرواية والشخصية الرئيسية فيها هي شخصية (حلمي) وكان ذلك نتيجة تردد الاسم كثيرا ، وتمتلك هذه الشخصية حضورا دلاليا اكثر من الشخصيات الاخرى وهي تتميز كونها اكثر فاعلية في الرواية فضلا الى انها تمتلك اكبر عدد من الافكار (القيم) فهي بارزة في افعالها ومواصفاتها واحداث الرواية ارتكزت حول هذه الشخصية التي فرضت وجودها على باقي الشخصيات وعلى الاحداث ، فهي الاكثر بروزا من خلال بعض الصفات والامتيازات التي منحها الرواية لهذه الشخصية .

اما شخصية (نود ، ندى ، نادية ، عيدان ، قسمة) فهي شخصيات تسد ثغرات الرواية وتروي عطشها منتشرة بدوال مختلفة وملازمة للشخصية الرئيسية احيانا ومساعدة لها ، تتخذها صديقة وحافطة لسرها وغالبا ما تنبثق امامنا تارة ثم تختفي تارة اخرى ويمكن ان يكون لها تأثير في توجيه الاحداث او ثابتة لا تحرك ساكنا لان الكاتب لا يقصدها لذاتها وانما لاضاءة جانب من جوانب شخصية البطل او لتحقيق صفة من صفاته⁽³⁰⁾ . رغم ثانوية الشخصية الا انها لا تقل اهمية عن الرئيسية فهي تمنح الرواية حيويتها وتبعث فيها الحركة والحياة وتنمي فيها عنصر المفاجأة والاثارة وكل ما يهيمش دورها في الرواية يشار اليها او بجزء من اجزاء جسمها .

والشخصية الثانوية في الرواية هي :

الشخصية	نوعها	وظيفتها
نود	ثانوية مسطحة	الصديقة المتحررة
نادية	ثانوية نامية	التحرر من المجتمع

ندى	ثانوية مسطحة	المغامرة والتمرد
عيدان	ثانوية نامية	الاهتمام والمغامرة
قسمة	ثانوية مسطحة	ملتزمة بالعادات والتقاليد

الشخصية النامية هي الشخصية التي لها دور مكثف في الرواية ذلك ان الراوي يرسم هذه الشخصية معتمدا على عنصر المفاجأة والخيال والواقع ، كانه في حلقة دائرة ، تجعل منها شخصية متمردة مرحة كثيرة الحركة ، ومتميزة عن غيرها فهي تمتلك القدرة على التأثير في الاخرين وهذا النوع من الشخصيات لا قاعدة له فهو يتوقف على القارئ الذي يتعامل معها ومن ثم يحكم عليها بانها متجددة ومتطورة عبر الملفوظ السردي .

الشخصية المسطحة على عكس الشخصية الدائرية فهي بسيطة تمتاز بالهدوء طول المسار السردي والقارئ لا يواجه اي مشكلة اثناء تتبعه للملفوظ السردي وذلك لانها ثابتة وخالية من عنصر المفاجأة طول المسار السردي .

اما شخصية (كشاش ، سالم ، رسول الكاتب ، مسافر ، محمد) هي شخصيات وظفت لغرض لفت انتباه الشخصية او تخفيف الأملها ، او استرجاع الذكريات والاسهام في نمو الحوار وتؤثر بوجودها الجانب الحوارى الذي يعطي للشخصية الرئيسة متنفسا للروح بهمومها والهدف من هذه الشخصيات هو اظهار جانب من جوانب الشخصية .

وهناك مجموعة من الشخصيات جاءت في الملفوظ لملء الفراغ السردي وتعدّ الرابط مع باقي الشخصيات الاخرى حيث ان التسطح في الرواية نتيجة تصل اليها الشخصية خاتمة لمسار فرض عليها او قد يكون العكس قد تخرج الشخصية من السطحية الى فرض نفسها وهذا الحكم ليس قياسي او ثابت وانما هو احتمالي ومن هذه الشخصيات في رواية البلد الجميل هي :

(سامي ، سناء ، غانم ، جميل كيطان ، فرج ، مصطفى ، حنان ، الحاجة امينة ، جاسم ، سليمة ، احمد ، هدى ، ياسين ، عدنان بن حجي زهرا ، سليمة ، كريمة ، تماضر ، منى ، ام جاسم ، ام رسول ، ام ناجي ، فضيلة ، كاظم جودة ، رزاق الامير ، ليلى بنت محمد علي كلاي ، ناجية المخبله ، مهاوي ، ام مسروط ، سلام ، ابو مسروط ، الداية ام جابر ، ناجي ، ابو ناجي) ان كلتا الشخصيتين النامية والمسطحة ليس لها قاعدة يستدل من خالها عليهما وانما هما متوقفان على القارئ فاذا كانت الشخصية تتميز بالثبات فهي مسطحة وان كانت تمتلك عنصر المفاجأة وكثرة الحركة متنامية طول المسار السردي فهي شخصية مدورة .

غير ان هذا التصنيف حسب الاهمية الوظيفية يمكن ان نستعوض عنه بترتيب اخر بناء على تواترها في النص القصصي وهي درجات التواتر التي هادانا اليها الاحصاء وهي على النحو التالي

-:

267 مرة	حلمي	-
106 مرة	عيدان	-
85 مرة	نود	-
78 مرة	قسمة	-
71 مرة	نادية	-
70 مرة	ندى	-
56 مرة	سالم	-
54 مرة	رسول الكاتب	-
47 مرة	كشاش	-
38 مرة	ام حلمي	-
30 مرة	محمد	-
25 مرة	ناجية المخيلة	-
24 مرة	سناء	-
22 مرة	ام ندى	-
19 مرة	سامي	-
18 مرة	فرج	-
18 مرة	غانم	-
16 مرة	جميل كيطان	-
15 مرة	ام نادية	-
12 مرة	والد ندى	-
9 مرة	جاسم	-
6 مرة	مصطفى	-
6 مرة	الحاجة امينة	-
4 مرة	حنان	-
4 مرة	مهاوي	-
3 مرة	ابو مسروط	-
3 مرة	رزاق الامير	-
مرتان	الداية ام جابر	-
مرتان	منى	-

مرتان	ياسين	-
مرتان	فضيلة	-
مرتان	سليمة	-
مرة واحدة	احمد	-
مرة واحدة	هدى	-
مرة واحدة	عدنان بن حجي زهرا	-
مرة واحدة	سليمة	-
مرة واحدة	كريمة	-
مرة واحدة	تماضر	-
مرة واحدة	ام جاسم	-
مرة واحدة	ام رسول	-
مرة واحدة	ام ناجي	-
مرة واحدة	كاظم جودة	-
مرة واحدة	ليلى بنت محمد علي كلاي	-
مرة واحدة	ام مسروط	-
مرة واحدة	سلام	-
مرة واحدة	ناجي	-
مرة واحدة	ابو ناجي	-

يمكن ان نستخلص جملة من النتائج من خلال هذا الاحصاء:

- ان هناك فرقا متسعا بين الشخصية الرئيسية حلمي (267) مرة وهي صاحبة المقام الاول في الحضور السردي بالقياس الى الشخصيات الاخرى ، اذ تواتر ذكرها على امتداد الرواية اما صاحبه عيدان (106) مرة شخصية صاحبة المقام الثاني في الحضور السردي بالقياس الى الشخصيات الاخرى ، اذ تواتر ذكرها هي الاخرى كثيرا فالرواية بدأت بخمس شخصيات حلمي ، نود ، قسمة ، مسافر ، رسول الكاتب الا انه اهمل عائلته بل وامات شخصياتهم وانحصر الاهتمام بحلمي ومن ثم من يهتم بحلمي (عيدان ، محمد ، نود) .
- ان تواتر الشخصيات المذكورة في الاحداث السردية اكثر من الشخصيات المؤنثة ، وان الشخصيات المؤنثة تتركز في الشخصيات المسطحة .
- الا ان هذا الترتيب القائم على الاحصاء لا يخلو من بعض الاخطاء حيث اننا لا نستطيع ان نرتضي الدرجات التي اخذتها بعض الشخصيات بناء على الاحصاء وحده .

الخاتمة:

عنى الراوي بشخصيات روايته لانه لا يمكن ان يصور مجتمعه من دون شخصياته الفاعلة فيه وفي احداثه وهو يعلو المنهج الاجتماعي على غيره في تقديم الشخصية الرواية عنده ، كما يظهر البعد النفسي في كلماتهم ترسم تلك الشخصية فقد تكون الشخصية الرواية شخصية خيالية لا توجد الا في ذهن الراوي ، يأتي بها لتمثل شريحة اجتماعية ما وتدور حولها الاحداث وهي العنصر الرئيس في الرواية الذي يقوم بتطوير الحدث وبنائه وتخضع الشخصية لعلاقة التأثير والتأثر مع بقية الشخصيات الاخرى ويقوم الراوي بإضاءة جوانبها باشتقاقها من عناصر اساسية، بيئتها ، مولدها ، سلوكها ، والظروف المحيطة بها .

فقد تركزت الدراسات السيميائية على ان كل شخصية هي صورة للشخص البشري المتعدد الوجوه والشخصيات ، والباحث عن ذاته الواحدة وهويته عبر هذا التعدد ، ويرصد عالم الرموز كل عناصر بناء الشخصية في وصفها الخارجي والنفسي وفي اختيار الاسم والانتماء الاجتماعي والثقافي والايديولوجي كما يرصد شبكة العلاقات بين الشخصيات ، فيرسم ما يطبعها من انسجام وتفاخر وما يطرأ على هذه العلاقات من تطور او تراجع .

الهوامش :-

- 1- ينظر: سيمولوجية الشخصيات الرواية ، هامون فيليب ، ترجمة : سعيد بنكراد ، دار الكلام ، الرباط ، 1990 : 80 .
- 2- ينظر: شخصيات النص السردي ، البناء الثقافي ، سعيد بنكراد ، منشورات جامعة المولى اسماعيل ، مكناس ، 1994 : 99 .
- 3- ينظر المصطلح السيميائي ، الاصل والامتداد ، مجلة علامات (المغرب) ع : 14 ، 2000 : 15 .
- 4- شخصيات النص السردي ، سعيد بنكراد : 72 .
- 5- سيمولوجية الشخصيات الرواية ، هامون فيليب: 8 .
- 6- شخصيات النص السردي ، سعيد بنكراد : 102 .
- 7- ينظر: بنية الشكل الرواي (الفضاء ، الزمن ، الشخصية) حسن بحراري ، المركز الثقافي العربي بيروت ، الدار البيضاء ، ط2 ، 1990 : 213 - 216 .
- 8- مقدمة في السيمياء السردية ، رشيد بن مالك ، دار القصة للنشر ن الجزائر ، 2000 : 16 .
- 9- المكان في الرواية البحرينية (دراسة نقدية) فهد حسين ، فراديس للنشر والتوزيع ، 2003 : 45 .
- 10- ينظر : سيمولوجية الشخصيات الرواية (رواية الشرع والعاصفة لحنا مينه نموذجا) سعيد بنكراد دار مجدولاي للنشر والتوزيع ، عمان ، الاردن ، ط1 ، 2003 : 110 .
- 11- الرواية العربية رسوم وقراءات ، نبيل سلمان ، مركز الحضارة العربية ، القاهرة ، ط1 : 13 .
- 12- رواية البلد الجميل ، احمد سعداوي ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، 2004 : 67 .
- 13- ينظر : م . ن : 72 - 73 .
- 14- ينظر : م . ن : 77 - 78 .
- 15- م . ن : 68 .

- 16- في نظرية الرواية ، عبد الملك مرتاض ، بحث في تقنيات السرد ، مجلة عالم المعرفة ، الكويت ، العدد 240 ، طبعة 1980 : 86 .
- 17- م . ن : 70 - 71 .
- 18- م . ن : 94 .
- 19- م . ن : 129 .
- 20- م . ن : 129 .
- 21- م . ن : 9 .
- 22- م . ن : 60 .
- 23- م . ن : 88 .
- 24- م . ن : 76 .
- 25- م . ن : 78 .
- 26- م . ن : 101 .
- 27- م . ن : 80 .
- 28- م . ن : 135 .
- 29- م . ن : 202 .
- 30- ينظر : نجيب محفوظ نماذج من الشخصيات المكررة ودلالاتها في رواياته ، د. عودة الله منبع القيسي ن دار اليازوري للنشر والتوزيع ، الاردن ، 2004 : 12 .

Abstract:

The novel "The Beautiful Country" is the novel that won the first prize for the Arabic novel in Dubai in 2005 for the novelist, poet and screenwriter Ahmad Saadawi. The narration of this novel is poetic, so that it seems like a real experience of the writer in his life. He is in the midst of the tornado of the country. More than half a century has witnessed an expansion in all fields so that the literature that is looking at relations and its varieties on other research has been overshadowed by the comprehensiveness of this science, which can be addressed by any field from the angle of semiotics appeared fields and research in language and eloquence and aesthetics D on this science (Alsemiae) .